المجلة الجزائرية للاتصال العدد01(2010)، ص24 ــ 48
EISSN:2676-1793 ISSN:1111-536X

البعد المجتمعي للنوع (الجندر) و علاقته بالعنف

بلقاسم بن روان

كلية العلوم السياسية والاعلام: جامعة الجزائر 3

مقدمـــة :

إن تحليل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية و السياسية بناء على مقاربة النوع شيء ضروري، فالأدوار هي أدوار مكتسبة والأحكام هي أحكام مبنية اجتماعيا و ثقافيا و تاريخيا وقابلة للتغير والتحسين.

لقد ثبت بما لا يدع للشك أن فئة النساء هي الفئة الأكثر هشاشة و الأكثر تضررا من الفقر والحروب و العنف والأمراض وغيرها من العلل و هذا راجع إلى تهميشها وإقصاءها من الحياة العامة و لاسيما من التكوين و التعليم والعمل

تشير الدراسات إلى أن عدد من النساء اللاتي يتعرضن للقتل على يد الذكور من أهم أسباب الوفاة على هذا الكوكب ، ويفوق عدد الضحايا عدد القتلى في كل حروب القرن العشرين مجتمعة و الضحايا لا يسقطون في الطرقات بل في الأماكن السكنية الآمنة ؟

توصلت مسوح ميدانية جيدة التصميم أجريت على مجتمعات إحصائية واسعة النطاق في أنحاء عديدة من العالم إلى أن ما بين 16% و ما يزيد عن 50 % من النساء يتعرضن للاعتداء الجسدي من جانب شريك الحياة، و السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو " ما هي القواسم المشتركة التي تجمع كل تلك النساء المعنفات من مشرق الكرة الأرضية إلى مغربها ، فهن مختلفات ربما في الشكل و اللون و

العرق و الطبقة و مكان الإقامة الجغرافي و الفئات العمرية و الحالة الاقتصادية و الانتماءات السياسية و الاديولوجية و الدينية القاسم المشترك الذي يجمعهن بلا منازع هو النوع الاجتماعي (الجندر)أي كونهن إناث، أما عن مصدر العنف فهو الشريك أو الأب ، أو الأخ أي الذكر، أي النوع الآخر و من أهم القواسم الأخرى أن العنف الذي يتعرض له على اختلاف أنواعه (جسدي – نفسي – جنسي) يحدث في أكثر الأماكن حميمية ألا وهو المنزل و ضمن سياق الحياة اليومية .يعتبر العنف الزوجي من أخطر أشكال العنف الموجه للمرأة لما لهذا الشكل من آثار و نتائج خطيرة على صعيد المرأة والأسرة والمجتمع و له آثار مباشرة و آثار بعيدة المدى، فالعنف الأسري قد يحدث خللا في البناء الاجتماعي و اهتزازا في نمط الشخصية خاصة عند الزوجات و الأطفال، مما يؤدي في النهاية إلى خلق أشكال مشوهة من نسق القيم والعلاقات والسلوك و أنماط الشخصية المتصدعة نفسيا و عصبيا، ومن نتائجه أيضا ما يترتب على علاقات القوى الغير متكافئة داخل الأسرة و في المجتمع بصفة عامة بالإضافة إلى ما يترتب على ذلك من إعادة إنتاج العنف[1]

و يعد العنف القائم على أساس النوع (الجندر) شكلا من أشكال التميز الذي يحول بشدة دون تمتع المرأة بالحقوق والحريات على قدر المساواة مع الرجل..... و يوجه العنف القائم على أساس النوع للمرأة بدرجات متفاوتة ويشمل التهديد بالأعمال التي تؤدي إلى الأذى البدني أو العقلي أو الجنسي أو المعاناة أو الإكراه للأعمال الأخرى السالبة للحرية.[2] و للعنف الأسري أوجه أخرى فهو يزيد من حجم المشكلات المرتبطة به كالمشكلات الصحية و النفسية و الاقتصادية، فالمشكلات الاجتماعية المرافقة لهذه الظاهرة تهز الشعور الجمعي بعنف و تعمل على إزعاج استقرار المجتمع كما أنها تقف عائقا صعبا أمام التنمية الاجتماعية ، إنها إحدى مظاهر التهديد و الصراع للمجتمع.[3]

[1] ليلى عبد الوهاب العنف الأسري الجريمة و العنف ضد المرأة، دار الهدى، دمشق ،1994،ص 8-7.
[2] لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة، الدورة الحادية عشر،1992،التوصية العامة،19، العنف ضد المرأة.
[3] سالم الساري و خضر زكريا، مشكلات اجتماعية راهنة، العولمة وإنتاج مشكلات جديدة ، دار الأهالي ،دمشق،2004.

1- مفهوم العنف:

يشمل كل سلوك يتضمن الاستخدام العضلي للقوة المادية لإلحاق الأذى والضرر بالذات أو بالأشخاص الآخرين و تخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف و حريته الشخصية و على هذا فإن السلوك العنيف يتضمن معنى القهر و الإرغام من جانب الفاعل والخصوم و المقاومة من جانب المفعول [4] ، والعنف هو سواء استخدام السلطة بغير عدل، واستخدام السلطة أو القوة هنا لا يعني القوة الجسدية فقط بل يشمل إلحاق الأذى بالطرف المقابل، والإيذاء مفهوم مرادف للعنف، إلا انه اقل ضررا أو قوة و يعرف الإيذاء لغويا بأنه " كل ما تتأذى به من عمل ضرر صغير كان أو كبير أي هو انحراف في استعمال الحق ينشأ عنه ضررا بالغير".

و العنف في المعاجم العربية هو الشدة بالقوة، اعتنق الأمر أي أخذه بقوة أو بشدة و بقسوة[5]

و ينبثق مفهوم العنف من الانجليزية من المصدر بمعنى القوة و الصرامة و الإكراه، و جاءت كلمة العنف في القاموس الفرنسي تحت مصطلح Force و تعني القوة والطاقة و العنف والصرامة و هي مرادفة لمصطلح violence[6]

2- الفرق بين العنف و غيره من المفاهيم الأخرى:

- **العنف والعدوان :**

---

[4] مها متولي محمد سيف، العنف ضد المرأة : تحليل سوسيولوجي لجرائم قتل الزوجات للأزواج، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة القاهرة، 2002،ص:2

[5] الرازي عبد القادر، المعجم العربي بيروت للطباعة والنشر ،بيروت 1978، ص:192.
مها متولي، المرجع نفسه، ص 35.

[6] مرزوق عبد القادر، مجموعة المصطلحات القانونية،دار النهضة، العربية، القاهرة، 1994، ص 194.

العنف هو صورة من صور العدوان يتوافر فيها الظهور أما العدوان فقد تتوافر في الفرد دون أن يظهر في سلوك صريح.[7]

- العنف و الجريمة :

الجريمة سلوك يحدث ضررا ماديا ومعنويا وقد تكون مصحوبة بعنف أو لا ، لذا مفهوم العنف أوسع من الجريمة.[8]

- العنف و الإساءة :

الإساءة هي أي فعل يقوم به احد الأفراد قصد إيفاع الضرر بالآخرين وتعتبر الإساءة أحد أشكال العنف ولا تقتصر الإساءة على الناحية البدنية فقط بل تمتد لتشمل النواحي النفسية و العاطفية و اللفظية و الجنسية و الإهمال والتجاهل.

- العنف ضد المرأة:

هو أي سلوك عدائي موجه نحو المرأة بقصد إلحاق الأذى و الضرر الجسمي أو النفسي أو المادي أو الاجتماعي أو الصحي أو اللفظي، خاصة العنف الموجه من الزوج إلى الزوجة [9]

3- أشكال العنف ضد المرأة :

1) العنف الجسدي:

ويعني استخدام القوة الجسدية نحو المرأة، وهو أكثر أشكال العنف وضوحا و يتم باستخدام الأيدي و الأرجل أو أية أداة من شأنها ترك آثار واضحة على جسد المعتدي عليها و

[7] أحمد زايد ، سميحة نصر، فرضيات حول العنف في الحياة اليومية في المجتمع المعرب، المجلة الجنائية القومية، مجلد 39 ، العدد الثاني يوليو 1996، ص 5-6.
[8] أحمد زايد، سميحة نصر، مرجع سابق، ص:6
[9] سهيلة محمود بنات، العنف ضد المرأة : أسبابه، آثاره ، كيفية علاجه. ط1 ، المعتز للنشر والتوزيع، عمان 2006،ص:6.

يترتب على العنف الجسدي و الإساءة البدنية للمرأة عدة أعراض مثل : الكدمات ، الحروق ، كسر العظام، تمزق الأنسجة، ارتجاج في المخ، الإجهاض، و غيرها من الأعراض.

2) **العنف الاجتماعي:**

ويعني حرمان المرأة من ممارسة حقوقها الاجتماعية و الشخصية و محاولة الحد من انخراطها في المجتمع وممارسة أدوارها مما يؤثر على استقرارها الاتصالي ومكانتها الاجتماعية.

3) **العنف الجنسي:**

يشمل العمليات الجنسية غير المرغوبة و إلقاء التعبيرات و التعليقات اللفظية الجنسية عن المرأة.

4) **العنف النفسي:**

و يتضمن إذلال المرأة والتقليل من شانها و تخويفها ورفض الحديث معها و مناداتها بأسماء لا تحبها و سوء المعاملة والإهمال والتحقير.

5) **العنف الاقتصادي:**

يشمل العنف الاقتصادي ضد المرأة، أخذ مالها والاستيلاء على ممتلكاتها و الامتناع عن الإنفاق عليها.

6) **العنف اللفظي :**

هو أشد أنواع العنف خطرا على الصحة النفسية للمرأة، و يكون على شكل شتم المرأة و إحراجها أمام الآخرين و تحقيرها وإهمالها.

7) **العنف الصحي:**

و يقصد به حرمان الزوجة من الظروف الصحية المناسبة لها، و عدم مراعاة الصحة الإنجابية لها والتي تعني قدرة الزوجة على الحمل والإنجاب دون التعرض للأخطار المصاحبة [10]

4- **الجندر أو النوع – المفهوم وتطوره:**

إن ميزة مفهوم النوع الذي ظهر في مطلع السبعينات من القرن 20 العشرين كما أسلفنا هو أنه مختلف عن مفهوم الجنس الذي ينطلق أساسا من الفرو قات البيولوجية، إن مفهوم النوع الاجتماعي وعلى عكس مفهوم الجنس يميل إلى ما هو ثقافي و ليس إلى ما هو طبيعي خام أي أن هناك معنى يعطيه المجتمع للذكر و الأنثى، فحوى ذلك أن كل ما يفعله الرجال والنساء و كيفيات وجودهم وتفكيرهم وسلوكهم ما عدا وظائفهم الجنسية البيولوجية ، هي من صياغة المجتمع وثقافته ومن ثمة هي قابلة للتغير بحسب الظرفية التاريخية لذلك المجتمع [11]

و تنطلق فكرة النوع الاجتماعي من مسلمة هي أن الأشخاص يولدون ذكورا أو إناثا لكن المجتمع يعلمهم كيف يكونوا أولادا ثم رجالا أو نساء إن تلك العملية التعليمية تتولاها مؤسسات التنشئة المختلفة من أسرة ومدرسة وفضاء عمل وفضاء تدين ، ومن ثم فإن تلك المؤسسات تكسب الأفراد أو تعودهم على القيام بما يتماشى مع جنسهم.

– العنف ضد النساء:

يقع تعريف العنف ضد النساء بأنه " أي عمل عنيف عدائي أو مؤذي أو مهيمن تدفع إليه عصبية الجنس يرتكب بأي وسيلة كانت بحق أية امرأة لكونها امرأة و يسبب لها أذى نفسيا

[10] ولاء محمد الطاهر ، اتجاهات الجمهور العربي نحو معالجة العنف ضد المرأة في الأفلام العربية و الأجنبية، قسم الإعلام التربوي ، كلية التربية النوعية، جامعة الزقازيق، مشروع رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، 2009.
[11] شاذلية المجاري، المنظمة النقابية و إدماج النوع الاجتماعي، دراسة حالة، رسالة ماجستير في الدراسات النسوية ، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس 2004-2005، ص19.

أو بدنيا أو جنسيا أو معاناة بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة.

يحتل العنف ضد النساء مكانا متميزا في الثقافة الجنوسية العربية حتى أن البعض يجد تفسيرا لكثرة انتشاره في المرجعية الدينية الغالبة في الوطن العربي و هي المرجعية الإسلامية.و لكن هذا الرأي يكون قاصرا عندما نتعرف إلى حجم هذه الظاهرة في المجتمعات الغربية و الشرقية على حد السواء، و يكفي أن نشير إلى أن بعض الأرقام الصادرة عن البنك الدولي تشير إلى أن ما لا يقل عن 20% من النساء في مختلف أنحاء العالم يتعرضن للإساءة الجسدية والاعتداء الجنسي، و في USA تتعرض امرأة واحدة للضرب المبرح عند مرور كل 15 ثانية و تتعرض 700 ألف امرأة للاغتصاب كل عام ، وتتشكل 95 % من ضحايا العنف في فرنسا مما جعل العنف ضد النساء من قضايا حقوق الإنسان فيأخذ مكانه ضمن مراكز اهتمام منظمة الأمم المتحدة التي خصصت سنة 1995 يوم 25 نوفمبر يوما للقضاء على العنف ضد المرأة[12]

5- الحركة النسوية:

النسوية هي حركة سياسية ترمي إلى تحقيق أهداف اجتماعية ترتبط ارتباطا وثيقا بحقوق المرأة و إثبات دورها وقد نتج عنها بروز فكر نسوي يعمل على تحليل واقع النساء الخصوصي، إن السمة الرئيسية للحركة النسوية التي بدأت تبرز في السبعينات القرن العشرين، ترى عدم إرجاع دونية المرأة إلى طبيعة المشاكل الاجتماعية و إلى هيمنة الرجل المطلقة فقط و إنما أيضا إلى وجود الأسرة التي لابد من تحطيم قداستها لأنها لا تنتج المساواة و لأنها المؤسسة الكفيلة بقهر المرأة ، و تعتبر أن عبودية المرأة هي الإنجاب، و لا بد من إيجاد وضع تتحرر فيه المرأة

[12] دعسم موسى ،"العنف ضد المرأة " http:/arabic.....project.com

من الحمل والإنجاب و ذلك باعتماد تقنيات الإنجاب الحديثة لقد تحولت تلك الانوثية على نوع من التطرف، يدعو إلى حق المرأة المطلق في جسدها ضمن مركزية أنوثية تقوم على أنقاض المركزية الذكورية و ينتهي إلى الدفاع عن حق المرأة في السحاق وعن الجنسية المثلية و من ثم التأسيس لنمط جديد من الأسرة و هي الأسرة السحاقية و الأسرة اللواطية[13]

- **الظاهرة النسوية العربية:**

النسوية العربية تعود جذورها إلى الفترة الاستعمارية إذ استخدمت من قبل الإداريين الاستعماريين التقليديين البريطانية و الفرنسية ، و تستخدم حاضرا من قبل الإدارة الأمريكية كحجة للغزو والتدخل، عبر ما يسمى بمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي اقترحته USA على ما يعرف بمجموعة الثماني في قمتها المنعقدة في يوليو 2004، تناول المشروع وضع المرأة في مستويات عدة و لكنه أفرد لمشاركتها السياسية فقرة خاصة جاء فيها ما يلي : " تشغل النساء3.5 % فقط من المقاعد البرلمانية في البلدان العربية، و من أجل زيادة مشاركة النساء في الحياة السياسية يمكن لمجموعة الثماني أن ترعى معاهد تدريب خاصة بالنساء تقدم تدريبا على القيادة للنساء المهتمات بالمشاركة في التنافس الانتخابي على مواقع الحكم أو إنشاء أو تشغيل منظمة غير حكومية و يمكن لهذه المعاهد أن تجمع بين قيادات من البلدان الثماني والمنطقة"، الأمر الذي انعكس على مشاريع الإصلاح العربية وهو ما عبرت عنه الوثيقة التونسية للإصلاح المقدمة إلى مؤتمر القمة العربية المنعقد في تونس 2004 ما يلي:" مواصلة النهوض بدور المرأة في المجتمع العربي و تدعيم حقوقها تعزيزا لمساهمتها في دفع التنمية الشاملة من خلال مشاركتها الفعلية في مختلف الميادين السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية [14]

[13] يمنى طرف الخولي ، النسوية وفلسفة العلم، دار الفكر، ..... 34 ، عدد خلص حول المرأة أكتوبر.، ديسمبر 2005، ص 28-29
[14] سالم لبيض ، الجنوسة والنوع (الجندر) في الثقافة العربية، مجلة المستقبل العربي ، 2/ 2008 ، العدد 348 .

التداعيات الحقيقية لهذا التوجه الذي جاء به مشروع الشرق الأوسط الكبير:

1- التوجه فقد مصداقيته أمام " اختبار العراق " ، لقد بين ذلك الاختبار الذي انطلق يوم 9 ابريل 2003 تاريخ احتلال الأقدام الأمريكية للعراق و سقوط بغداد أن المرأة العراقية غير جديرة بان تكون كائنا حيا ناهيك عن حقوقها كامرأة فهي عرضة لجميع أشكال العنف و الاعتداء اليومي و قد تمركزت أشكال الاعتداء الأمريكي على النساء العراقيات حول الاغتصاب ، ولم يقتصر ذلك على الأماكن الخاصة مثل البيوت المنتهكة حرماتها و السجون و إنما شمل ذلك الأماكن المقدسة حيث يشار إلى 199 حالة اغتصاب داخل مساجد الفلوجة وحدها[15]

2- مشهد الاغتصاب يتكرر بصفة متواترة حتى بات أمرا اعتياديا في السجون العراقية، يقول السيد عزيز جبر شيال مدير مركز بغداد لحقوق الإنسان (17 مارس 2005) كما نشر في موقع البصرة على شبكة الانترنيت: " الآن تحول الميناء الجميل- يقصد ميناء أم قصر- المطل على الخليج إلى سجن، كانوا يتركون السجناء من دون استحمام طوال شهر خلال فصل الصيف الحار وفي ظروف شديدة القسوة بعد ذلك يأمرون السجناء رجالا ونساء بالاستحمام الجماعي، في هذه الحالة يصبح مجتمع الاغتصاب النموذجي مكتملا من حيث معماريته الاجتماعية فهو ينقل الاختلاط بين النساء والرجال إلى مرحلة العري البدائي الكامل، و ينجز من دون تردد العودة إلى العرية الأولى.

3- إن المثال الأكثر تعبيرا عن رسالة الرجل الأبيض الأمريكية " التمدينية " الذي يستبطن كل مقولات الحرية النسوية الغربية و اديولوجيتها، تجاه نساء العراق اللواتي يمثلن مجتمع الحريم الشرقي هو ما عبرت عنه سجينة عراقية على جذاذة تسربت من داخل سجن أبو غريب السيئ

[15] سالم لبيض، مجلة المستقبل العربي، مرجع سابق

الصيت و لقيت رواجا غير منقطع النظير. جاء في تلك الجذاذة ما يلي: " ..... رسالة من أختكم نور من سجن اليهود في أبو غريب، من أين أبدأ أيها الشرفاء، يعجز القلم عن الوصف، أأصف لكم الجوع و انتم تأكلون أم أصف لكم العطش و انتم تشربون، أم أصف لكم السهر وأنتم نائمون، أم أصف لكم عراؤنا و أنتم تلبسون؟ يا إخوتي عندما نرى شاحناتكم و سياراتكم تنقل مواد البناء و عندما نقرأ هوية السيارة فإذا هي تحمل اسم أهلي ومحافظتي فأقول راجعة إلى نفسي إن أهلي قد باعوا أعراضهم بمالهم، الدولار الأصفر، و لكن أتذكر الشرفاء وأبكي على حالي، ماذا أصف لكم مما نلاقي من العذاب و الضرب المبرح حتى نحفظ لكم العرض و نصون الأمانة؟. فأين انتم يا علماء الدين؟ هل نسيتم الرسالة التي جاء بها الصادق المصدوق أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم ؟ إن نسيتموها بسبب الدينار الذي تتقاضون من اليهود فسوف نوقفكم أمام الواحد الأحد، فنحن أمانة في أعناقكم، سألتكم بالله ومن تقع بيده هذه الرسالة من العلماء أصحاب المنابر الشرفاء (الذين يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار) – القرآن الكريم ،سورة النور ، الآية 37) وهذه رسالة يجب أن تتقلوها على منابركم أيها الشرفاء (كل المنابر الدينية ، السياسية، الإعلامية) تذكروا يوم كنتم تنظرون إلى إخوانكم في فلسطين إننا نعاني ما نعاني عندما ننظر إلى اليهود و هم يريقون الخمر أمامنا و يهتكون أعراضكم كالحيوانات المفترسة ويسرحون ويمرحون مع اللاتي هانت عليهن أعراضهن ، أيها الشرفاء كم مرة تموتون ، أعراضنا هتكت وملابسنا تمزقت و بطوننا جاعت و دموعنا جارية ولكن من ينصرنا ؟ لا أريد أن أودعكم و قبل أن أودعكم أقول لكم اتقوا الله في أرحامكم فقد امتلأت بطوننا من أولاد الزنا و قبل الوداع أقول للشرفاء إذا كنتم تمتلكون أسلحة تحيل بدون شك على أن المرأة العراقية التي من المفترض أن تكون مكون رئيسيا من مكونات الاختبار في ورشة مشروع الشرق الأوسط الكبير الحامل لعلامة " صنع في أمريكا " قد عرفت تلك الصناعة على

حقيقتها و لا أظنها قابلة لحلقة أخرى من حلقات تلك التجربة المرة مهما كانت اليافطة التي ترفعها " نسوية ، ليبرالية أو اشتراكية ، أو راديكالية أو هكذا نسوية بدون صفة.

النتيجة : إن إيديولوجيا النوع في النهاية لا ترمي إلى بناء مركزية أنثوية ، وإنما تهدف إلى الحد من التميز ضد المرأة، و ليس قلب سلم الوظائف الاجتماعية.[16]

4- البعد النظري لظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي :

نستعرض بعض النظريات المتاحة التي توضح أبعاد ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي و يمكن تصنيفها إلى أربعة نظريات:

أ. النظريات الموجهة نحو الأفراد:

تنطلق النظريات السيكولوجية بتعليل العلاقة القوية التي تربط بين الأزواج الذين يسيئون إلى شريكات حياتهم و تعرضهم هم أنفسهم للإيذاء أثناء طفولتهم، و ذلك بناء على الخبرات المختلفة من فترة الطفولة، بالإضافة إلى حالات اضطراب الشخصية أي أن هذه النظرية ترتكز على دراسة الكيفية التي تؤثر بها السمات و الخصائص التي تتسم بها الأطراف المعتدية و الضحايا على زيادة احتمالات حدوث العنف 17

ب. النظريات الموجهة نحو المشكلات الاجتماعية والأبعاد الأسرية:

[16] سالم لبيض، مجلة المستقبل العربي ، مرجع سابق.
[17] مهر يناز علي عبد المجيد عوض ، العنف القائم على النوع الاجتماعي في مصر، مشروع أطروحة دكتوراه قيد الانجاز،كلية العلوم السياسية و الدراسات الدولية ، جامعة ليدس ن بريطانيا ن 2007.

تعتمد النظريات القائمة على الأبعاد الأسرية إلى إطار توسيع العنف ليشمل آثار المؤسسات الكيانات الاجتماعية على سلوكيات الأفراد، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث جرائم عنف تشير مثلا نظرية النظام الأسري إلى مساهمة كافة أفراد الأسرة في تكوين وتشكيل و ترسيخ نظام من العنف، التي يتم بمقتضاها تناقل وتوارث السلوك العنيف من جيل إلى جيل، أما نظرية التعلم الاجتماعي فترى بأن اعتناق الناس لسلوكيات بعينها يعتمد على عامل المحاكاة، فقمع المرأة دون وجود أي تبعات قانونية يتسبب في تكرار مثل هذا السلوك مستقبلا، ويرى الباحثون أن الأفراد الذين يشاهدون ممارسة العنف فيما بين الزوجين وداخل عائلاتهم سوف يقدمون على الأرجح إلى إيذاء شريكات حياتهم مستقبلا. و هناك مصدر آخر لتعلم العنف و المتمثل في ما تنقله وسائل الإعلام من صور حية عن العنف و تنطلق هذه الفكرة من النظرية القائمة على دور وسائل الإعلام في ترسيخ نماذج من العنف و السلوكيات العدوانية لدى المشاهدين و التي عادة ما يقومون بمحاكاتها (هناك علاقة سببية) بين المشاهدة والعنف

– الظروف الاجتماعية و الاقتصادية للأسر سببا رئيسيا في حدوث العنف، حالات العنف مرتفعة عند الفقراء أكثر منها عند الأسر الميسورة الحال (علاقة سببية بين الفقر و العنف).[18]

ج. النظريات النسائية:

توضح هذه النظريات كيف يؤثر النظام الأبوي السائد في المجتمع و داخل الأسر والعائلات على العلاقات الحميمية ومن هذا المنطلق تبادر النظريات النسائية إلى تحديد العلاقة المباشرة التي تربط في ما بين حالات الاعتداء على المرأة وإيذاءها و المنظمة الأبوية الراسخة

[18] مهر نزار علي عبد المجيد العوضي، مرجع سابق.

بالمجتمع والتي تنعكس سلبا على المرأة ، و تسرد هذه النظرية عدة أسباب للعنف الممارس على المرأة بناء على مفهوم النوع الاجتماعي نذكر منها خاصة:

– اتصاف الذكورية بالطابع السلطوي و إيذاء المرأة هو تعبير عن السلطة الاجتماعية التي تقضي بالهيمنة والسلطة على المرأة.

– معاناة بنو الرجال من حالات الضعف والوهن في أماكن عملهم أو في إطارالسياق المجتمعي، فيعوضون هذا الضعف بتسليط العنف على زوجاتهم. (هناك تراتبية في ممارسة العنف، الزوج يعنف زوجته، و الزوجة تعنف أطفالها، و الطفل الذكر يعنف البنات، والأكبر يعنف الأصغر وهكذا دواليك)

– تسلط المنهجية النسائية على أن القبول الثقافي لمبدأ استخدام القوة من منطلق ضرورة السيطرة على الآخرين أو لتسوية النزاعات إنما يعزز خلق بيئة اجتماعية تقر بممارسة العنف القائم على النوع الاجتماعي.

– تبنت النظرية النسائية المبدأ الصيني القائل " بالإفصاح عن المرارة " و ذلك قصد تشجيع المرأة لتحطيم أسوار الصمت، و تقاسم الخبرات.

د. <u>النظريات متعددة الأبعاد:</u>

ترى هذه النظرية أننا يمكن أن نفسر ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي بعملية توحيد بين مختلف وجهات النظر المطروحة في جل النظريات أي أن العنف المسلط على المرأة لايتحكم فيه متغير واحد بل هناك جملة من المتغيرات ، إحصائية، نفسية ، بيولوجية ، أسرية ، إعلامية ، سياسية ، اقتصادية و غيرها، وهذا من منطلق ديمومة النظام الاجتماعي المحافظ على النظام الأبوي و الذي

ساهم في تفاقم ظاهرة العنف ضد المرأة عن طريق التأثير في التركيبة السلطوية داخل العلاقات الحميمة بين الجنسين.

6- الدين والنخب والنوع الاجتماعي:

لقد انعكس الإرث الديني على مواقف النخب الثقافية فدار الجدال حول موقف الإسلام من المرأة و حقوقها في المجتمع العربي الإسلامي ففي حين مال غلاة الفقهاء إلى إبراز " دونية المرأة " و قوامة الرجل عليها و نصيبها من الميراث وارتفاع الرجل عليها بدرجة، يضاف إلى ذلك ما أثير من حديث حول "دونية سياسية وقيادية و دونية دينية " إذا أخذنا عدم قبول إمامة المرأة خاصة بعد أن باتت وسائل الاتصال الحديثة لاسيما القنوات الفضائية تلعب دورا في الدعاية و التعبئة الدينية و تعطي صورة عن المرأة تتضاءل فيها ملامحها الايجابية أمام ملاحمها السلبية ، في مقابل تلك الدونية اعتبر كل من " الطاهر حداد" و "عبد الوهاب بوحديبة" أن الإسلام لم يؤسس لدونية نسوية بل إن مواقفه اتصفت بإنصاف المرأة وإعطاءها مكانة تضاهي مكانة الرجل إذا أخذنا في الحسبان تطور تلك النصوص مقارنة بالواقع الذي نشأت فيه و مكانة المرأة في ذلك الواقع، و يعلل الحداد شهادة امرأتين مقابل شهادة رجل واحد بغاية التذكير و ليست بسبب سقوط أخلاقي ، أما الحاجة إلى التذكير فمردها إلى موروث ثقافي طال أمده حقر المرأة وكرس دونيتها و يقرر الحداد حق المرأة في القضاء بين الناس مثلها في ذلك مثل الرجل مستندا إلى الموقف الحنفي، وما أفتى به أبو حنيفة النعمان من جواز تولي المرأة خطة القضاء دون انه يناقض ذلك جوهر الدين و أصوله و يدعم هذا الموقف بقوله "..... ليس في نصوص القرآن ما يمنع المرأة من تولي أي عمل في الدولة والمجتمع مهما كان هذا العمل عظيما.[19]

[19] سالم لبيض مجلة المستقبل العربي ، مرجع سابق.

– الدين الإسلامي ليس فيه ما يعزز أو يروج لممارسة العنف القائم على النوع الاجتماعي، إن تعاليم الدين الإسلامي لا تقوم على مبادئ المذهب الأبوي غير أن الأسلوب الذي تناول به بعض علماء الإسلام تفسير التعاليم الدينية هو ما يصفه على انه أبوي ، ومن هذا المنطلق عززت هذه التفاسير الخاطئة بعضا من التقاليد والمعتقدات الراسخة للعلاقة الأبوية بين الذكر والأنثى و التي يترتب عنها تفويض و منح الذكر كافة الصلاحيات و السلطات لتهذيب زوجته و شريكة حياته و التحقق من انضباطها. لكن يبقى أن نقول أن هناك انعدام للصلة بين الدين الإسلامي و مبادئ النظام الأبوي ومن ثم فالإسلام لا يشكل أساسا لحدوث ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي، الدين الإسلامي كفل للمرأة حقوقها و منحها حقوقها والنظام الأبوي لا يمت بأية صلة للدين الإسلامي غير أنه يرتبط بشكل وثيق بتفسيرات بشرية وردت بشان القرآن الكريم.

– السؤال المركزي الذي ميز فكر الأنوار الأوربية هو " أن النساء أدنى (أقل بدرجة) من الرجال نتيجة لعوامل طبيعية أو بسبب ما تتلقاه من التربية ؟ و هو سؤال يحتوي ضمنا على إقرار بدونية المرأة مقارنة بالرجل،هذه الدونية التي جسدتها الثورة الفرنسية سنة 1789 عندما لم تمنح حقوقا سياسية و آثرت التعامل مع إنسان مجرد دون تخصيص للمرأة و لعل تلك الدونية ستبرز بأكثر وضوح في القانون المدني الفرنسي الذي صدر في عهد نابليون بونابرت سنة 1804 ، و الذي وضع النساء تحت الوصاية المطلقة للرجال فالمرأة طبقا لهذا القانون تنتقل من وصاية والدها إلى وصاية زوجها فهي بحاجة إلى ترخيص معين حتى تمارس مهمة معينة و تدير ثروة تملكها.

كانت تلك الدونية في التعامل مع النساء تجد تأييدها في النصوص الدينية المسيحية كما في اليهودية و لدى رجال الدين الذين يهيمنون هيمنة مطلقة و لفترة ليست بالقصيرة على مختلف أوجه الحياة الاجتماعية و هذه النظرة أيضا ميزت فكر الأنوار العقلاني ، جاء على لسان أغوست كونت

الفيلسوف الوضعي ومؤسس علم الاجتماع الأوربي ما يلي: " المرأة هي ملك نكتسبه بواسطة عقد نبرمه فهي عبارة عن منقول لان الملكية تقتضي التسجيل ، إن المرأة في النهاية ليست سواء تابع للرجل " هذه الأفكار تراجعت بصورة ملحوظة بعد الحرب العالمية الثانية .[20]

7- تقول مهر يناز : " .....طوال مراحل عماي في شمال وصعيد مصر ، وأيضا في المناطق العشوائية تمكنت من رصد اختلاف المعاملة التي تحصل عليها الفتيات مقارنة بنظائرها من الصبيان، ففي واقع العمل تبد أ ممارسات العنف و التمييز ضد المرأة من الاحتفال الكبير الذي يقام عند ولادة الصبي و ذلك مقارنة باحتفال صغير يقام في نطاق ضيق عند ولادة الفتاة و هناك شواهد أخرى من تقديم قطع اللحم للصبي ليتناولها بينما لا تحصل الفتاة إلى على وجبة أرز أو بطاطس و ذلك بناء على المعتقدات التي تعتنقها الأسرة من حيث أن الصبي هو من يحمل اسم العائلة وهو المنتظر منه مستقبلا إعالة الأسرة " و تقول أيضا: " شاهدت بنفسي فتيات ونساء يعملون داخل وخارج المنزل لفترة تتعدى 16 ساعة بصفة يومية، بينما يقضي بعض الرجال أوقات فراغهم في المقاهي و يتم التعامل مع الفتيات و السيدات باعتبارهن مخلوقات دونية ".

– هناك أيضا جرائم الشرف و التي تعد أيضا من أنماط العنف القائم على النوع الاجتماعي في المنطقة العربية، و عادة لا تبلغ السلطات بجرائم الشرف، حيث تعزى هذه الجرائم إلى مجرد الشك في سلوك الضحية، و اكتشاف حالات الزنا ، و وجود علاقة غير شرعية، أو إلى الأهمية القصوى التي يكتسبها فقدان غشاء البكارة لدى الفتاة والذي ينظر إليه باعتباره رمز الشرف.

[20] سالم لبيض، مجلة المستقبل العربي ، مرجع سابق

– تعتبر عمليات تشويه الأعضاء التناسلية للإناث (أما يطلق عليه عمليات ختان الإناث) صورة أخرى من مظاهر العنف القائم على النوع الاجتماعي (صعيد مصر، السودان ،و.....).

– الزواج المبكر للفتيات هو نوع من العنف القائم على النوع الاجتماعي.

– الزواج الذي لا يتيح الفرصة للفتيات باختيار أزواجهن .

– الاعتداء على المرأة بالضرب يعد صورة شائعة من صور العنف القائم على النوع الاجتماعي في المنطقة العربية، والاعتداء بالضرب على الزوجة قد يكون بسبب تعذر عليهن مثال: إعداد الطعام في موعده، أو معارضتهن لوجهات نظر أزواجهن أثناء جدال حول موضوع ما، و بسبب تبادلهن الحديث مع شخص غريب، أو في حالة عودة الزوج إلى المنزل و كانت الزوجة خارج المنزل، أو خروجها بدون إذن منه لزيارة أهلها أو لأمر طارئ يقتضي خروجها، و الأسباب كثيرة...(هذه الأسباب دلت عليها كثير من الدراسات).

– تعرض النساء الطالبات إلى حالات إيحاءات أو دلالات جنسية .

– تعرض النساء إلى حالات الاعتداء و إساءة المعاملة في أماكن العمل، وإلى بعض حالات التحرش الجنسي، و الاعتداء الجنسي عليهن في أماكن العمل

– تعرض السيدات والفتيات إلى حالات التحرش اللفظي في الشوارع و الطرقات وبعض حالات الاغتصاب في الشارع.

– العنف المنزلي كممارسة مبنية على النوع الاجتماعي ، حيث تشير الملاحظات والدراسات، إلى حدوث حالات اعتداء من قبل الأبناء على أمهاتهم في بعض الأسر، و أيضا حالات الضرب التي يقدم عليها الذكور تجاه أخواتهم الفتيات.

– تقوم بعض الأسر (لأسباب اقتصادية، اجتماعية) بإجبار بناتهم على الزواج برجال اكبر منهن سنا.

– انتشار حالات اغتصاب المحارم داخل البيوت العربية.

بعد كل هذا أين ذهب الوازع الديني و هل الدين يأمر بذلك؟!

– الإشكالية الكبرى بالنسبة لمجتمعاتنا العربية الإسلامية تتمثل خاصة في ما يلي:

شح البيانات حول ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي و هذه الظاهرة مستعصية على الدراسة و البحث لعدة أسباب (اجتماعية، ثقافية، قانونية و حتى سياسية) و لا زالت هذه الظاهرة وما يحيط حولها ميدان بكر يحتاج إلى الدراسة و الكشف حتى يستطيع المجتمع أن يرى صورة حقيقية و يجد العلاج..... ولا يبقى في الصور الوهمية التي توحي بأن كل شيء على ما يرام كما يجب أن يصل المجتمع إلى حالة " كشف المستور"

– رغم هذه الملاحظات وهذه الوقائع المعبرة عن الظاهرة تبقى البيانات اللازمة حول نسب و معدلات وقوع ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي شحيحة و تعزى محدودية نقص المعلومات حول ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي إلى اعتياد المرأة على النظر إلى هذه الموضوعات و الأمور باعتبارها شؤون عائلية و تدخل في مجال خاص جدا ولا يجوز مناقشتها خارج الفضاء الأسري، كما تعتقد المرأة أن الرجل يحتفظ بحقه في تأديب شريكة حياته و حملها على الانضباط .

– تعتبر الأبحاث والدراسات التي تتناول ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي حديثة العهد نسبيا ، الأمر الذي يتسبب في نقص و تشويه المعلومات المتوفرة حول هذه القضية.

– محدودية مصادر المعلومات التي يمكن اللجوء إليها للحصول على بيانات بخصوص ظاهرة العنف القائم على النوع الاجتماعي.

– نزوع المرأة إلى عدم إبلاغ الشرطة عن حالات العنف باعتباره شانا عائلي خاص نظرا للمعتقدات الثقافية.

– لا تقدم المرأة على ذكر تعرضها لدفعة يد أو لإيذاء لفظي و ذلك من منطلق أن هذه الزوجة وخاصة إن كانت غير متعلمة لا تنظر لهذا السلوك باعتباره مظهرا عنيفا و بالتالي لا يمثل مصدر شكوى بالنسبة لها.

9. دور التنشئة الاجتماعية أو التربية على النوع:

إن خطاب الجنوسة الذي يقوم على السيطرة الذكورية المطلقة لا يعتمد على الموروث الجنسي و إنما يشمل جميع مجالات الحياة، ففي دراسة أجريت سنة 2000 و نشرت سنة 2005 تبين وجود أمي واحد بالنسبة لخمسة بالغين على المستوى العالمي و من بين أولئك

الأميين نجد الثلثين من النساء و هذا يحول دون مقدرتهن على الدفاع عن حقوقهن و ينعكس ذلك على توزيع النساء على المهن خارج المنزل و على المشاركة السياسية ، فإذا ما استثنينا بعض الدول العربية، في أوروبا و أمريكا الشمالية فمن كافة الدول الإقرار بمحدودية مساهمة النساء في الشأن العام بل إن كثيرا من المجتمعات والدول لا تحتسبهن ضمن اليد العاملة النشيطة في قياس نسبة البطالة ومؤشراتها.

– و رغم المحاولات التي عرفتها كثير من البلدان للنهوض بوضع المرأة وتغييره باتجاه مزيد من المشاركة فإن تلك المحاولات بقيت حبيسة النصوص القانونية التي قلصت في المستوى النظري، لكن على مستوى الواقع لابد من الاستنجاد بما يسميه البعض " البناء الاجتماعي للنوع " الذي يعترض التفريق بين " الجنس الطبيعي" و " الجنس الثقافي " إن بناء النوع عملية شاقة لا تتحقق بمجرد إعطاء بعض حقوق المرأة أو تمكينها من بعض الحريات الفردية التي شكلت مطالب رئيسية لكثير من الحركات النسوية إنما هو عملية التنشئة تتولاها مختلف أطر التنشئة الاجتماعية والتي نحصرها في ما يلي :

1. **الأسرة:**

إذا كانت التنشئة مبنية على أولوية الذكر سواء كان أبا أو ابنا في مختلف المعاملات و بالتالي التمييز بين الجنسين ، و إذا كانت الرسالة التي تسعى الأسرة لتبليغها هي أن الذكر قوى ونشيط و البنت ناعمة و هادئة وإذا كانت هناك ألوان للذكور و ألوان للإناث و لعب للذكور ولعب للإناث فان ذلك سينعكس على تربية الأبناء و على " النموذج" وسلطته التي يمارسها على الأبناء و بالتالي يحكم مختلف علاقاتهم طيلة تجاربهم الحياتية (المرأة هي المرآة العاكسة

للمجتمع في مستوى القيم والعقائد و التقاليد و مختلف التراكمات الثقافية و الاديولوجية للنظام السياسي السائد ، الطفل يتعلم بعينه أي ما يراه و يلاحظه من سلوكيات و معاملات أكثر مما يتعلمه بأذنه (رغم أهمية الأذن) أي ما يسمعه ويجبر على تلقنه.وما تستطيع الأسرة تمريره من قيم جديدة تحد من التمييز الجنسي ومن الهيمنة الذكورية عبر تنشئة متوازنة في فترة وجيزة قد لا يستطيع المجتمع انجازه خلال عقود من الزمن، و لو باعتماد أكثر التشريعات تقدما و تمكين المرأة من أعلى الوظائف والرتب والامتيازات.

2. المدرسة:

هي إطار التنشئة الذي يكتسي الدرجة نفسها من الأهمية (درجة الأسرة) يذهب بيار بورديو (Pierre Bourdieu.)عالم اجتماع الفرنسي إلى أن مفهوم إعادة إنتاج الثقافة هو مفهوم تنتجه المدارس بمشاركة مؤسسات اجتماعية أخرى (دينية ن سياسية، إعلامية) وذلك للحفاظ على اللا مساواة الاجتماعية والاقتصادية جيلا بعد جيل.

– إن المدرسة تلقن الفرد الامتثال للنظام السياسي والقانوني و احترام المعايير الاجتماعية و الأخلاقية بل إن وظيفة المدرسة هي إنتاج " الهوية الاجتماعية للأفراد و خلق ما يسمى الجنس المشترك لديهم "

حالات التميز تتصرف إلى تقسيم فصول خاصة بالذكور و أخرى للإناث أو تخصيص مدرستين حسب الجنس واعتماد برامج ذات طبيعة ذكورية أو توجيه الذكور و الإناث على تخصصات معينة دون الأخرى كل هذه الممارسات تشكل أرضية خصبة تنتج التميز و تعيد إنتاجه مستقبلا من قبل الفاعلين.

3. **الإعلام:**

وهناك صورة أنثوية يتم تسليعها وتسويقها في إطار الانسجام بين الإعلام والسوق من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية (التلفزيون و الصحف و الراديو، و الانترنيت) و يبقى الحل يتمثل في إعادة النظر في وظيفة الإعلام وتعامله مع ثنائية الذكورة والأنوثة، أو ما سميناها الجنوسة.

4. **المؤسسات الأخرى:**

فكرة النوع الاجتماعي الوافدة الحديثة على المجتمعات العربية الإسلامية لا تواجه المقاومة الذكورية فقط وإنما تصطدم بموروث ثقافي خصب له امتداد ضارب في أعماق التاريخ والذات ، ويلعب فيه العامل الديني دورا مركزيا مما يحصل من تقبل مختلف الأفكار المنقولة عن طريق عربة الحداثة أمرا عسيرا، و يزداد الأمر عسرا عندما تترسخ قيم جديدة هي قيم تسليع الجنس و بيعه علنا، سواء كان ذلك من خلال عروض البغاء المنظم العلني و السري أو عبر بيع مادة الفحولة لمن يشتري ويدفع المقابل، و يزداد الأمر تعقيدا و خطورة عندما تلامس المسألة، مسالة النوع، المقدسات والمحرمات (القضاء على الأسرة مثلا) و التي تمثل ثوابت

يصعب المساس بها في مجتمعنا العربي الإسلامي الذي لا يستطيع دارسه أو حتى المتعامل معه أن يفصل بينه وبين تلك المستويات[21]

و أخيرا يمكن القول أن:

- تعكس هذه الممارسات العنيفة آثارا سلبية على المستويين العاطفي و البدني للضحية
- الاتجاهات الذكورية التي تنتج التعصب ضد المرأة و الاعتداء عليها و إيذاءها قد نمت و تنامت على مدار سنين طويلة (صيرورة تاريخية ترسخت في المخيال) إلى أن ظن عندها الرجال أنه يحق لهم ممارسة سلطاتهم و صلاحياتهم ضد النساء.
- تظل الثقافات التي تعزز مفاهيم الذكورية و الأنوثة ومبادئ تسلط الرجل على المرأة راسخة على الرغم من الدمار الذي تلحقه لكل من الرجل و المرأة على حد سواء.
- هناك أدلة دامغة تفيد بحدوث ضغوط نفسية لاحقا بين عدد من النساء اللاتي يتعرضن للاعتداء أو الإيذاء و التي تتمظهر في حدوث انتكاسات أو كوابيس أو انعدام القدرة على التركيز أو الإفراط في النوم أو اضطراب النوم.

[21] سالم لبيض ، مجلة المستقبل العربي ، مرجع سابق.

المراجع :

1. عبد الوهاب ليلى، العنف الأسري ،الجريمة والعنف ضد المرأة، دارا الهدى ، دمشق،1994.
2. لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة ، الدورة الحادية عشر، 1992، التوصية العامة 19، العنف ضد المرأة.
3. سالم الصاري، حضر زكريا، مشكلات اجتماعية راهنة ، العولمة و إنتاج مشكلات جديدة، دار الأهالي،دمشق،2004.
4. مها متولي و محمد سيف، العنف ضد المرأة : تحليل سوسيولوجي لجرائم قتل الزوجات للأزواج، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة كلية الآداب ،قسم علم الاجتماع، 2002.
5. الرازي عبد القادر، مجموعة المصطلحات القانونية، دار النهضة العربية، القاهرة،1994.
6. أحمد زايد و سميحة نصر، فرضيات حول العنف في الحياة اليومية في المجتمع العربي، المجلة الجنائية القومية، مجلة 39، العدد الثاني، 1996.
7. سهيلة محمود بنات، العنف ضد المرأة: أسبابه ، آثاره ، كيفية علاجه، ط1،المعتز للنشر والتوزيع، عمان 2006.
8. ولاء محمد الطاهر، اتجاهات الجمهور العربي نحو معالجة العنف ضد المرأة في الأفلام العربية و الأجنبية، قسم الإعلام التربوي ، كلية التربية النوعية،جامعة الزقازيق،مشروع رسالة دكتوراه غير منشورة، 2009.
9. شاذلية المجاري، المنظمة النقابية و إدماج النوع الاجتماعي، دراسة حالة، رسالة ماجستير في الدراسات النسوية، المعهد العالي للعلوم الإنسانية، تونس،2004.
10. دعسم موسى، العنف ضد المرأة، الموقع http://arabic.tharwa-project.com

11.يمنى طريف الخولي، النسوية و فلسفة العلم، عالم الفكر، السنة 34 عدد خاص حول المرأة، أكتوبر – ديسمبر 2005.

12.سالم لبيض الجنوسة و النوع (الجندر) في الثقافة العربية، مجلة المستقبل العربي، 2008/2، العدد 348.

13. مهر يناز و علي عبد الحميد العوضي، العنف القائم على النوع الاجتماعي في مصر، مشروع أطروحة دكتوراه قيد الانجاز لكلية العلوم السياسية والدراسات الدولية ، جامعة ليدس –بريطانيا: 2007. University of LEEDS